

أَرْضِيَيْنِ، وَالطَّعَامُ الْوَاحِدُ سَمَاوِيٌّ، بِمِخْلَافِ أَصْحَابِ عِيسَى  
فَإِنَّهُمْ سَمَاوِيُونَ، وَلِهَذَا قَالَ نَبِيُّهُمْ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا  
مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ.

## التفسير

إِنَّ كُلَّ مَنْ تَأَمَّلَ الْقُرْآنَ، وَتَمَعَّنَ فِي نِظَامِهِ وَحَسَنِ أَسْلُوبِهِ  
يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْحَمُ بِعِبْدِهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ  
أَنَّ تَعَالَى لَمَّا قَرَعَ سَمْعَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ أَنَّهُمْ بَاؤُوا بِغَضَبِ مَنْ  
اللَّهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، وَذَكَرَهُمْ بِكُلِّ بَغْيٍ  
وَفَسَادٍ عَالَى مَا يَقْتَضِيهِ الْعَدْلُ ظَهَرَتْ مِنْهُ تَعَالَى صِفَةُ الرَّحْمَةِ  
الَّتِي هِيَ أَسْبَقُ مِنَ الْغَضَبِ، فَأَخَذَتِ الْيَهُودَ مِنْ سُوءِ الْحَضِيضِ  
وَرَفَعَتْهُمْ إِلَى أَنْ جَمَعَتْهُمْ مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْخُطَابِ ثُمَّ عَمَّتْ  
غَيْرَهُمْ مِنَ الْفِرْقِ، وَلَا أَبْلَغُ مِنْ هَذَا فِي الْإِسْتِعْطَافِ. قَالَ تَعَالَى:  
«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» بِمَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ «وَالَّذِينَ هَادُوا»  
أَيَّ دَخَلُوا فِي الْيَهُودِيَّةِ، مَا خُوذَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّا هَدُنَا

إِلَيْكَ ، أَي تَبَاوَرَجْنَا إِلَيْكَ ، سُمُّوا بِذَلِكَ عِنْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْ  
 عِبَادَةِ الْعِجْلِ « وَالنَّصَارَى » وَهُمْ أَتْبَاعُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
 سُمِّيُوا بِاسْمِ مَنْ قَالَ مِنَ الْخَوَارِجِيِّينَ حَتَّى أَنْصَارَ اللَّهِ ، لَمَّا قَالَ  
 الْمَسِيحُ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ « وَالصَّابِئِينَ » وَهُمْ أَهْلُ دِيانَةِ  
 مُلْفَقَةِ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ وَالْمَجُوسِيَّةِ ، وَقِيلَ إِنَّهُمْ عَلَى دِيانَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ  
 السَّلَامُ ، وَمَجْمُوعُ هَذِهِ الْفِرَقِ وَغَيْرِهَا أَنَّ « مَنْ آمَنَ » مِنْهُمْ  
 « بِاللَّهِ » وَيَمَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ « وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ » وَيَمَا يَدْخُلُ تَحْتَهُ مِنَ الْمَغِيبَاتِ كَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ  
 وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا قَرَّرْتَهُ الشَّرَائِعُ « وَعَمِلَ »  
 فِي سِرِّهِ وَعَدُوْنِيَّةِ عَمَلِهِ « صَالِحًا » عَلَى وَفْقِ مَا جَاءَتْ  
 بِهِ شَرِيْعَةُ الْإِسْلَامِ حَتَّى مَاتَ عَلَى ذَلِكَ « فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ »  
 تَابَتْ « عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ » يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ  
 جَمِيعِ الْجُنَايَاتِ الَّتِي أَرْتَكِبُوهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ « وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ »  
 يَوْمَ يُحْزَنُ مَنْ سِوَاهُمْ عَلَى مَا فَعَلَتْهُ مِنْ مُوَافَقَةِ الرَّسُولِ وَإِنْ

قُلْتُ فَلِمَ أَجْمَلَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَ مَنْ سِوَاهُمْ مَعَ اعْتِرَافِهِ لَهُمْ بِالْإِيمَانِ  
 فَأَقُولُ: أَجْمَلَهُمْ لِعَوَائِدِ، مِنْهَا أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْخِطَابَ جَاءَ فِي  
 مَعْرِضِ الْإِسْتِعْطَافِ لِلدِّسْرَائِيلِيِّينَ، وَثَانِيًا لِتَرْتِيبِ عَلَى الْإِيمَانِ  
 الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ إِنَّ الْإِيمَانَ بِانْفِرَادِهِ غَيْرُ كَافٍ فِي  
 نَفْيِ الْحُزْنِ وَالْخَوْفِ إِلَّا بِانْتِزَاعِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ إِلَيْهِ. وَثَالِثًا أَنَّ  
 الَّذِينَ آمَنُوا الْمَذْكُورِينَ أَوْلَادَهُمُ الْمُحْكُومُ عَلَيْهِمْ آخِرًا فِي الْآيَةِ،  
 يَقُولُهُ: (وَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)، وَعَلَى هَذَا فَلَا إِخْرَاجَ،  
 وَرَابِعًا: إِنَّ فِي الْآيَةِ شَيْئًا مِنْ نَفْيِ الْإِخْتِصَاصِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَا فَرْقَ  
 بَيْنَ مَنْ آمَنَ أَوْلَادًا وَبَيْنَ مَنْ آمَنَ آخِرًا بِالْإِضَافَةِ لِلِاسْلَامِ. وَخَامِسًا:  
 إِنَّ فِي تَخْصِيمِ هَذِهِ الْفِرْقِ بِالذِّكْرِ دُونَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُجُوسِ وَالزُّنَادِقَةِ  
 نَوْعًا مِنَ الْإِحْتِرَامِ. وَسَادِسًا: إِنَّ فِي هَيْئَةِ الْعَطْفِ الْمَرْتَبِ مَا يَشْعُرُ  
 بِفَضْلِ الْمُعْطُوفِ عَلَيْهِ عَلَى الْمُعْطُوفِ. وَسَابِعًا: إِنَّ ذِكْرَ الَّذِينَ  
 آمَنُوا فِي جُمْلَةٍ مِنْ سِوَاهُمْ فِيهِ مِنْ كَسْرِ شَوْكَةِ الْعَجَبِ الْمُخْشِي  
 حُوقَهُ بِالَّذِينَ آمَنُوا عِنْدَ مَا يَبْلُغُهُمْ مَا حَلَّ بِالْإِسْرَائِيلِيِّينَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

## الإِسْتِنبَاطُ

يُسْتَخْرَجُ مِنْ قَوْلِهِ: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) إِلَى قَوْلِهِ: (وَأُولَئِكَ  
يَحْزَنُونَ) ثَلَاثَةٌ أَحْكَامٌ:

الْأَوَّلُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْفِرْقَ مِنْ حَيْثُ هِيَ بِالْإِضَافَةِ لِلِإِسْلَامِ عَلَى  
السَّوَاءِ، وَذَلِكَ يُؤْخَذُ مِنْ إِجْمَالِهِمْ فِي الذِّكْرِ.

الثَّانِي: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْإِيْمَانَ بِمَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ إِذَا كَانَ مُجَرَّدًا عَنِ  
الدُّعْمَالِ الصَّالِحَةِ رَبَّمَا يَحْمِلُ صَاحِبَهُ بِأَهْلِ الْكِتَابِ، حَسْبَمَا يَسْتَفَادُ  
مِنَ الْجُمْلَةِ إِلَّا إِذَا أُضِيدَ بِالْعَمَلِ.

الثَّلَاثُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الصَّابِئِينَ الْمَذْكُورِينَ فِي الْآيَةِ كَانُوا عَلَى  
بِشْرَعَةٍ سَمَاوِيَّةٍ، وَذَلِكَ يُسْتَفَادُ مِنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ تَعَالَى مَعَ أَهْلِ  
الْكِتَابِ دُونَ الْمُشْرِكِينَ.

## الإِشَارَةُ

تَتَضَمَّنُ تَسْوِيَةَ هَذِهِ الْفِرْقِ وَدُخُولَ الْمُؤْمِنِينَ فِي جُمْلَتِهِمْ أَنْ  
لَا يَرَى الْإِنْسَانُ دُونَهُ مُسْلِمًا وَلَا كَافِرًا، وَلَا طَائِعًا وَلَا عَاصِيًا

مَا دَامَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ مَجْهُولَةً، لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْخَوَاتِمِ، وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ  
الْأُمُورِ، وَالنَّاسُ فِي جَانِبِ التَّقْدِيرِ سَوَاءٌ.

## لِسَانَ الرَّوْحِ

عَايَ مَا فَهَمْتُ مِنْ لُغْزِهِ أَنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْفِرْقِ لَهَا مَكَانَةٌ فِي  
الدِّينِ، وَأَنَّ التَّفَاضُلَ فِيمَا بَيْنَهَا حَسَبَ رَتْبَةِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، وَأَنَّ  
الْأَسْفَلَ مِنْهَا أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

## التفسير

إِنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ مَا كَادَ أَنْ يَقْطَعَ حَبْلَ الْمُوَدَّةِ تَمَامًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ لِقَوْلِهِ: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذُّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِغَضَبِ  
مِنَ اللَّهِ) فَاسْتَرْضَاهُمْ ثَانِيًا بِأَبْلَغِ عِبَارَةٍ، حَيْثُ أَجْمَلَهُمْ بِالذِّكْرِ  
عَقِبَ الَّذِينَ آمَنُوا لِيُؤَاجِهُهُمْ الْآنَ بِالْعِتَابِ، سَعْيًا مِنْهُ تَعَالَى فِي  
تَحْسِينِ الرِّوَايَةِ، لِأَنَّ الْعِتَابَ أَبْلَغُ دَاعٍ فِي تَحْرِيكِ الْوُدَادِ، وَفِي  
هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنْ حُسْنِ الْأُسْلُوبِ مَا هُوَ أَوْلَى بِالِاعْتِبَارِ. قَالَ تَعَالَى  
مُخَاطِبًا لَهُمْ: «وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ» أَي تَذَكَّرُوا حَالَةَ أَخَذِ

الْمِيثَاقِ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ أَنْ جَاءَكُمْ بِهِ مُوسَى ، ثُمَّ  
 نَقَضْتُمْ الْعَهْدَ ، وَامْتَنَعْتُمْ عَنِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ حَتَّى هَدَدْنَاكُمْ بِأَبْلَغِ  
 تَهْدِيدٍ « وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ » الْجَبَلَ الْمَسْمُومَ « الطُّورَ » حَتَّى  
 صُرْتُمْ مِنْ تَحْتِهِ تَرَوْنَهُ مِنْ فَوْقِكُمْ ، وَأَنْتُمْ مُشْفِقُونَ أَنْ يَقَعَ  
 عَلَيْكُمْ ، فَالْتَجَأْتُمْ حِينئِذٍ إِلَى قَبُولِ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى ، فَقُلْنَا لَكُمْ  
 « خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ » وَهُوَ التَّوْرَةُ « بِقُوَّةٍ » أَيَّ عَجْدٍ وَاجْتِهَادٍ  
 لَدَاعَى وَجْهِ التَّرَاحِي « وَاذْكُرُوا » لِغَيْرِكُمْ « مَا فِيهِ » مِنَ الْأَحْكَامِ  
 وَالْحُدُودِ وَالْحُرَامِ ، وَالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّةِ مُوسَى وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ  
 الْأَنْبِيَاءِ كِيحْيَى وَزَكَرِيَّا وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ  
 أَجْمَعِينَ « لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » اللَّهُ فِي الْحَقِّ بَانَ لَا تَكْتُمُوهُ ، مَهْمَا  
 عَرَفْتُمُوهُ « ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ » أَيَّ رَجَعْتُمْ عَلَى أَدْبَارِكُمْ ، وَنَكَسْتُمْ عَلَى  
 أَعْقَابِكُمْ « مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ » الْمِيثَاقِ الْغَلِيظِ ، الْمَأْخُودِ عَنْكُمْ  
 مِنَ اللَّهِ ، فَرَعْتُمْ وَحَرَفْتُمْ وَفَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ « فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ  
 عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ » بِالنِّسْبَةِ لِمَا اقْتَرَفْتُمُوهُ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ وَغَيْرِهِ

مِمَّا لَا يُحْصَى كَثْرَةً «لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» وَكَانَتْهُمْ إِلَى حَالِ الْخُطَابِ  
 لَمْ يَتَحَقَّقْ خُسْرَانُهُمْ، وَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْعِتَابِ فِي غَايَةِ وَمَصْدَقُهُ  
 الْوِدَادُ النَّامُ بِجَرْدِ انْقِيَادِهِمْ لِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَفِيهِ إِنْبَاءٌ مِنَ اللَّهِ عَنِ بَقَاءِ تَأْهِلِهِمْ لِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلِهَذَا  
 حَذَّرَهُمْ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي  
 السَّبْتِ» لَمَّا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمُ الصَّيْدَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَتَجَاوَزُوا الْحُدُودَ  
 وَاخْتَرَعُوا حِيلًا لَا تَعْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَسَتَأْتِي قِصَّتُهُمْ،  
 «فَقُلْنَا لَهُمْ» لَمَّا تَحَقَّقَ الْإِعْتِدَاءُ مِنْهُمْ، «وَأَسْتَمِرُّوا عَلَيْهِ «كُونُوا»  
 أَي كُونُواهُمْ «قِرْدَةً» أَي عَلَى صِفَةِ الْقِرْدَةِ «خَاسِرِينَ» أَي  
 مَسْخُوحِينَ مَمْقُوتِينَ «فَجَعَلْنَاهَا» أَي آيَةَ الْمَسْحِ «نِكَالًا»  
 أَي عِبَارَةً وَرَدَّهَا «لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا» أَي لِمَنْ حَضَرَهَا وَشَهِدَهَا  
 «وَمَا خَلْفَهَا» مِمَّنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهَا وَسَمِعَ بِهَا «وَمَوْعِظَةً»  
 أَي تَذْكَرَةً «لِلْمُتَّقِينَ» فَيَزِيدُونَ تَقَاةً فِي كُلِّ عَصْرِ ثُمَّ آتَتْ  
 اسْتِطْرَادَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَقِبَ الْعِتَابِ تَتَضَمَّنُ فَوَائِدَ مِنْهَا

إِذَا تَغَيَّرَ اسْلُوبُ الْعِبَارَةِ حَالَ الْعِتَابِ، إِنْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ جَبْرُ  
 الْخَوَاطِرِ إِلَى كَيْفِيَّةٍ أَرْفَقَ بِالْمُخَاطَبِ حَسْبَمَا يَتَضَمَّنُهُ قَوْلُهُ: (وَلَقَدْ  
 عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ، فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)  
 فَحَاشَاهُمْ تَعَالَى عَنِ الَّذِينَ اعْتَدُوا فِي السَّبْتِ، وَلَوْلَا مَا يَتَضَمَّنُهُ الْمَقَامُ  
 لَقَالَ وَإِذَا اعْتَدَيْتُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَكُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ، كَمَا  
 جَاءَتْ الْعِبَارَةُ فِي مَعْرِضِ التَّوْبِيخِ (وَإِذَا وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ  
 لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ). وَثَانِيًا إِنَّ هَيْبَ  
 اسْتِظْرَادِ هَذِهِ الْقِصَّةِ عَقِبَ قَوْلِهِ: (وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) إِلَى  
 قَوْلِهِ: (وَإِذَا ذُكِّرُوا) مَا فِيهِ تَهْدِيدٌ بِالسَّخِّ بِطَرِيقِ خَفِيٍّ إِنْ تَقَضَّوْا  
 مِيثَاقَهُمْ بَعْدَ إِظْهَارِ مَا يَدُلُّ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ فِي التَّوْرَةِ.

### الإِسْتِنبَاطُ

يُسْتَخْرَجُ مِنْ قَوْلِهِ: (وَإِذَا أَخَذْنَا) إِلَى قَوْلِهِ: (الْمَثَقَاتِ)  
 خَمْسَةُ أَحْكَامٍ:

الأَوَّلُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ جَمِيعَ مَنْ آمَنَ بِالْكِتَابِ إِلاَّ وَأَخَذَعَهُ الْمِيثَاقُ



عَنِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْقُضَ مِيثَاقَهُ مَعَ اللَّهِ فَلْيَتْرِكِ  
الْعَمَلَ بِهِ، فَذَلِكَ يُسْتَفَادُ مِنَ الْقِصَّةِ.

الثَّانِي: عَلِمْنَا بِأَنَّ أَحْكَامَ الشَّرْعِ يَنْبَغِي الْأَخْذَ بِهَا أَنْ يَكُونَ بِقُوَّةٍ  
وَعَزِيمَةٍ وَحَرِصٍ، مِنْ قَوْلِهِ: (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ).

الثَّلَاثُ: عَلِمْنَا بِوُجُوبِ ذِكْرِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ مِنَ الْأَحْكَامِ  
الْمُتَوَقِّفِ فَهَمَّا عَلَى الْخُصُوصِ مِنْ قَوْلِهِ: (وَإِذْ كُرُوا مَا فِيهِ).

الرَّابِعُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِنْ مَعَ مَا ضَرَبَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ  
الدَّلَّةِ وَالْمُسْكَنَةِ فَإِنَّهُ لَنْ يُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، مِنْ قَوْلِهِ: وَلَوْ لَا  
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ، لِأَنَّ الْخُسْرَانَ لَا يَتَحَقَّقُ  
إِلَّا بِإِسْدَادِ بَابِ التَّوْبَةِ.

الخَامِسُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ النَّاقِضَ لِعَهْدِ اللَّهِ، الْمَتَجَاسِرَ عَلَى تَغْيِيرِ  
أَحْكَامِ اللَّهِ هُوَ الْمَتَّعِضُ لِلْمَسْخِ، لِأَنَّهُ لَا مُوجِبَ مَحْلُولِهِ  
بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا هُوَ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -  
ثُمَّ أَقُولُ أَنَّ:

## الإشارة

فِي قَوْلِهِ: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) تَشْمَلُ كُلَّ عَالِمٍ مَحْكَمِ اللَّهِ،  
 مُتَحَاشٍ عَنِ الْعَمَلِ بِهِ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مَا آتَى اللَّهَ  
 عَالِمًا عِلْمًا إِلَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَنْهُ أَنْ لَا يَكْتُمَهُ) فَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ  
 اللَّهِ، فَهُوَ الْعَالِمُ، وَمَنْ خَابَ فَهُوَ الظَّالِمُ، فَكَانَهُ تَعَالَى يَقُولُ أَذْكُرُوا  
 إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ يَا مَعْاشِرَ الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا تَكْتُمُوا عِلْمًا، وَلَا تَجَاوَزُوا  
 أَحَدًا، وَلَا تَقْضُوا عَهْدًا لِعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ  
 لِوَعْدِهِمْ وَلَا أَقْرَأَكُمْ، فَقَبِلْتُمْ وَأَقْرَرْتُمْ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ عَنْ آدِبَارِكُمْ،  
 وَنَكَسْتُمْ عَنْ أَعْقَابِكُمْ، فَأَثَرْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَاخْتَرَعْتُمْ  
 حِيلًا وَرُخْصًا وَاهِيَةً، تَتَوَصَّلُونَ بِهَا لِوَعْرَاضِكُمْ، ظَنًّا مِنْكُمْ أَنَّ اللَّهَ  
 غَافِلٌ عَمَّا تَعْمَلُونَ. وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا وَقَعَ لِلَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ، أَيَّ مِنْ  
 جَنْسِكُمْ الْإِنْسَانَ فِي السَّبْتِ، لَمَّا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمُ الْإِصْطِيَادَ فِي ذَلِكَ  
 الْيَوْمِ، فَجَعَلُوا عِنْدَ الشُّطُوطِ حِيَاضًا تَدْخُلُهَا الْحَيَاتَانِ يَوْمَ السَّبْتِ  
 وَيَأْخُذُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ، فَمَسَخْنَاهُمْ قِرْدَةً، بِاسْتِعْمَالِ حِيلَةٍ وَاحِدَةٍ

فِي دِينِ اللَّهِ ، فَكَيْفَ بَيْنَ يَسْتَعْمِلُ حَيْلًا مُتَعَدِّدَةً ، فَهَذَا يَحِلُّ الْخَمْرُ  
 بِدَعْوَى أَنَّ الْمَحْرَمَ هُوَ مَا يُؤْتِرِي الْعَقْلَ ، وَالْآخِرُ يَحِلُّ الرَّبَا بِدَعْوَى  
 أَنَّ الْمَحْرَمَ مَضَاعِفَةٌ أَصْنَافًا ، وَهَذَا يُسَمَّى فِي كَشْفِ وَجْهِ الْمَرْأَةِ  
 وَمَخَالَطَتِهَا الرِّجَالَ ، وَإِنْ كَانَتْ مَحْشِيَةَ الْفِتْنَةِ ، بِدَعْوَى أَنَّ الْوَجْهَ  
 لَيْسَ بَعُورَةً ، فَمَا أَجْرَاهُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ ، فَقَدْ انْقَضَ الْمِيثَاقُ وَحَلَّ  
 مَسْخُ الْقُلُوبِ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعِبَادَةَ الطَّاغُوتِ ، فَمَا أَضُرُّ  
 هَوْلَاءِ بِالْدِينِ . قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ  
 بَعْدِي مَنْ فِي عَالِمِ اللِّسَانِ جَاهِلِ الْقَلْبِ .

## لِسَانُ الرُّوحِ

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَأذْكُرُوا مَا فِيهِ) عَلَى مَا فَهِمْتُ مِنْ مُسْتَنْبَاطِهِ  
 أَنَّهُ يَقُولُ أَهْلُ كِتَابِنَا إِلَى الْآنَ يَذْكُرُونَهُ وَلَا يَذْكُرُونَ مَا فِيهِ وَالْحَقُّ  
 يَقُولُ : (وَأذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . ثُمَّ قَالَ فِي أَخَذِ الْمِيثَاقِ هَذَا  
 أَنَّهُ يَصْرِفُ عِنْدَنَا غَالِبًا إِلَى مِيثَاقِ الْأُرُوجِ الْمَأْخُودِ عَنْهَا يَوْمَ لَسْتُ  
 بِرَبِّكُمْ فَإِنَّهُ يَقُولُ : (وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ، وَرَفَعْنَا

فَوْقَكُمْ طُورَ الْأَشْجَاعِ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ مِنَ الْحَسَنِ الْمَضْرُوبِ عَلَى كُلِّ  
 رُوحٍ وَنَفْسٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ، لَا تَحْتَجِبُوا بِظَاهِرِهِ عَنِ بَاطِنِهِ، قَلْبٌ  
 انظُرُوا مَا ذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ عَنِ النَّظَرِ فِيهِ وَاحْتَجَبْتُمْ  
 بِظَاهِرِهِ عَنِ بَاطِنِهِ، وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحِمْتَهُ بِكُمْ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ

### التفسير

ثُمَّ أَخَذَ تَعَالَى فِي سَرْدِ قِصَّةِ جَرْتِ لِمُوسَى مَعَ قَوْمِهِ لَمَّا اشْتَبَهَ  
 عَلَيْهِمْ أَمْرُ الْقَتِيلِ الَّذِي قَتَلَهُ بَنُو أُخِيهِ لِيَرْثُوهُ، لِكُونِهِ مُوسِرًا، نَشَمَّ  
 وَضَعُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاوَعُوا بِطَالِبُونَ بَدَمِهِ، فَاخْتَلَفَتِ الْأَرْءَاءُ،  
 وَتَقَارَضَتِ الْحُجُجُ فِي شَأْنِ مَنْ قَتَلَهُ، فَطَلَبُوا مِنْ مُوسَى أَنْ يَحْيِيَ اللَّهَ  
 الْمَقْتُولَ فَيَجْبِرَهُمْ عَنْ قَتْلِهِ، فَسَأَلَهُ تَعَالَى أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، فَقَلَقَ  
 الْأَحْيَاءُ عَلَى ذَبْحِ الْبَقْرَةِ وَضَرْبِ الْمَيْتِ بِبَعْضِهَا حِكْمَةً يَعْلَمُهَا اللَّهُ،  
 وَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ الَّذِينَ طَلَبُوا مِنْهُ إِحْيَاءَ  
 الْمَيْتِ «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً» إِنْ أَرَدْتُمْ  
 ذَلِكَ «قَالُوا اتَّخِذْ نَاهِزًا» أَيِ أَنْهَزًا بِنَايَا مُوسَى، فَكَيْفَ

يَكُونُ إِحْيَاءَ الْمَيِّتِ مَوْقُوفًا عَلَى ذِيحِ الْبَقَرَةِ « قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ » أَيُّ  
أَمْخَصَّنُ بِاللَّهِ « أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ » الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ  
« قَالُوا » إِنْ كُنْتَ كَذَلِكَ « ادْعُ لِنَارِكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ » أَيُّ  
أَيُّ بَقَرَةٍ يُرِيدُ، وَمَا سَنَّهَا « قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ  
أَيُّ لَوْ مَسِنَّةٌ جَدًّا « وَلَا بَكْرٌ » أَيُّ صَغِيرَةٌ لَمْ يَطْرُقْهَا فَحْلٌ « عَوَانٌ  
أَيُّ مَتَوَسِّطَةٌ « بَيْنَ ذَلِكَ » فَهَذَا هُوَ بَيَانُهَا « فَافْعَلُوا  
مَا تَوَمَّرُونَ » بِهِ، وَاتْرَكُوا شِدَّةَ الْبَحْثِ « قَالُوا ادْعُ لِنَارِكَ  
يَبِينُ لَنَا مَا لَوْنُهَا » أَصْفَرَاءُ هِيَ أُمُّ سَوْدَاءُ أُمَّ غَيْرِ ذَلِكَ « قَالَ  
إِنَّهُ يَقُولُ أَنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِحٌ لَوْنُهَا » أَيُّ شَدِيدَةُ الصُّفْرِ  
زِيَادَةً فِي الْإِضْيَاحِ « تَسْرُّ النَّاطِرِينَ » مِنْ جِهَةِ صَفَاءِ اللَّوْنِ  
وَكَمَالِ الْإِعْتِدَالِ، وَلَمْ يَكْفِهِمْ هَذَا فِي الْبَيَانِ حَتَّى « قَالُوا ادْعُ  
لِنَارِكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ » أَعَامِلَةٌ هِيَ أُمَّ سَائِمَةٌ « إِنْ الْبَقَرُ  
تَشَابَهَ عَلَيْنَا » أَمْرَةٌ « وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ » لَكَ  
يَذَجُّهَا بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ. وَكَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ تَمْتَنَازَ الْبَقَرَةُ

الْمُقْصُودَةُ بِالْعَيْنِ مِنْ جِنْسِ الْبَقْرِ، وَلَوْ فَعَلُوا عِنْدَ قَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ  
 يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقْرَةً» اجْرَأَتْهُمْ أَيُّ بَقْرَةٍ كَانَتْ، لَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا  
 فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى قِيلَ أَنَّ الْبَقْرَةَ اشْتَرَوْهَا مِنْ صَاحِبِهَا بِمِلْءٍ  
 جِدِّهَا ذَهَبًا، وَكَانَتْ لِيَتِيمٍ بِأَرْبِئِ بَوَالِدَتِهِ، فَأَعْنَاهُ اللَّهُ مِنْ أَجْلِهَا. قَالَ  
 لَهُمْ مُوسَى جَوَابًا لِسُؤَالِهِمُ الْآخِرِ: «إِنَّهُ» تَعَالَى «يَقُولُ» لَكُمْ  
 «إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولَ» أَي مَذَلَّةٌ يَكْتَرُ الْأَعْمَالِ بِأَنَّ «تَشِيرُ  
 الْأَرْضُ» بِالْحِرَاثَةِ «وَلَا» هِيَ «تَسْقِي الْحَرْثَ» بِأَنَّ جُعِلَتْ  
 لِسَقْيِ الْحَرْثِ «مَسْلَمَةٌ» مِنَ الْعُيُوبِ وَالْأَعْمَالِ «لَا شَيْءَ» أَي  
 لَدُونِ يَخَالِطُونَ الصَّفُورَةَ «فِيهَا». وَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى حَدِّ هَذَا  
 الْبَيَانِ «قَالُوا» لِمُوسَى «أَلَدَجِثْتَ بِالْحَقِّ» الْبَيْنَ الَّذِي لَوَخَفَاءَ  
 فِيهِ «فَذَبَّحُوهَا» بَعْدَمَا اتَّضَحَتْ عِنْدَهُمْ «وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ»  
 أَي كَادُوا أَنْ لَا يَذْبُحُوهَا لِغِلْوِ ثَمَنِهَا وَشِدَّةِ تَعَسُّفِهِمْ. ثُمَّ أَخَذَ  
 تَعَالَى فِي ذِكْرِ الدَّاعِي لِذَبْحِ الْبَقْرَةِ فَقَالَ «وَلِذَقْتُمْ» يَا مَعْشَرَ  
 الْيَهُودِ «نَفْسًا» بِغَيْرِ حَقٍّ «فَأَدْرَأْتُمْ فِيهَا» أَي اخْتَلَفْتُمْ

وَاحْتَضَمْتُمْ فِيمَنْ قَتَلَهَا، وَأُخْفِيْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ أَمْرَ الْقَاتِلِ طَمَعًا فِي الدُّنْيَا  
 «وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» مِنْ أَمْرِ الْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ، وَلَمَّا  
 ذُبِحَتِ الْبَقْرَةُ «فَقَلْنَا» لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى إِنْ أَرَدْتُمْ  
 إِحْيَاءَ الْمَقْتُولِ «اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا» وَاخْتَلَفَ فِي الْبَعْضِ هَلْ  
 هُوَ اللِّسَانُ أَمْ غَيْرُهُ مِنَ الْأَعْضَاءِ وَلَا فَايِدَةٌ فِي تَعْيِينِهِ، أَمَّا الْفَائِدَةُ  
 ثُبُوتُ الْإِحْيَاءِ مِنْ كَوْنِهَا مَوْقُوفَةً عَلَى ضَرْبِ الْمَيِّتِ بِبَعْضِ الْبَقْرَةِ  
 «وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ» الدَّلَالَةُ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ شَيْءٌ  
 «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُكُمْ بِإِيْمَانٍ «ثُمَّ قَسَتْ  
 قُلُوبُكُمْ» مِنْ بَعْدِ مَا عَلِمْتُمُوهُ مِنْ آيَةِ اللَّهِ الدَّلَالَةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ  
 وَتَمَامِ اقْتِدَارِهِ عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَانَةِ «فَهِيَ» الْآنَ أَيُّ الْقُلُوبِ  
 «كَالْحِجَارَةِ» فِي الْقَسَاوَةِ وَالصَّلَوْبَةِ «أَوْ» مَعْنَاهَا بَلُّ «أَشَدُّ  
 قَسْوَةً» مِنَ الْحِجَارَةِ، وَهُوَ كَذَلِكَ بِدِيلِ قَوْلِهِ «وَلَنْ مِنْ  
 الْحِجَارَةِ لَمَّا» أَيُّ مَا هُوَ «يَتَفَجَّرُ مِنْهُ» أَيُّ مِنَ الْحَجَرِ  
 «إِلَّا لَنْهَالًا» وَاللَّوْمُ الدَّاخِلَةُ عَلَى الْمَوْضُوعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لَمَّا

لِيُؤْتِيَهُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً زَكِيًّا، وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ مِنَّا إِنَّهُم يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكَفَرُوا بِهِ، وَهُوَ الْعَذِّبُ الرَّحِيمُ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ السَّيِّئِ الْعَظِيمِ «وَإِنِّ  
 مِنْهَا» مِنَ الْحِجَارَةِ أَيْضًا «لَمَّا يَشَقُّ» أَي تَقَعُ فِيهِ شَقٌّ،  
 «فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ» مِنْ شَقْوَقِهِ عِيُونًا «وَإِنِّ مِنْهَا» مِنْ  
 الْحِجَارَةِ «لَمَّا يَهْبِطُ» أَي يَخْدِرُ إِلَى الْأَسْفَلِ «مِنْ خَشْيَةِ  
 اللَّهِ» وَهَذَا اسْتِبْعَادٌ لِمَاهُمْ عَلَيْهِ مِنْ قَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ، فَكَانَهُ  
 تَعَالَى يَقُولُ مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ إِلَّا وَهُوَ أَلْيَنُ طَبْعًا، وَأَسْهَلُ  
 اتِّقْيَادًا لِلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» مِنْ  
 السَّيِّئَاتِ عَلَى اخْتِدَافِهَا، حَسْبَمَا تَتَّضَمَّنُهَا قَسَاوَةَ الْقُلُوبِ الَّتِي هِيَ  
 كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَسَدُ قَسْوَةٍ.

### الإِسْتِنبَاطُ

يُسْتَخْرَجُ مِنْ قَوْلِهِ: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ) إِلَى قَوْلِهِ (تَعْمَلُونَ) ثَمَانِيَّةٌ

أَحْكَامٌ:

الْأَوَّلُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ قَوْمَ مُوسَىٰ لَوْ حَمَلُونَ جَمِيعَ مَا يَأْمُرُهُم بِهِ عَلَى  
 طَرِيقَةِ الْحَدِّ، فَلِهَذَا تَرَكُوا بَعْضَ الْأُمُورِ، وَذَلِكَ يُؤْخِذُ مِنْ



قَوْلِهِ: (قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُؤًا).

الثَّانِي: عَلِمْنَا بِأَنَّ إِسْتِهْزَاءَ بِالْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ هُوَ مِنْ نَعْتِ الْكُرْمَاءِ، مِنْ قَوْلِهِ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ).

الثَّلَاثُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ سُرْعَةَ الْإِمْتِنَالِ لِأَمْرِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ أَوْلَى مِنْ شِدَّةِ الْفَحْصِ عَنْ تَحْقِيقِ الْمَسْأَلَةِ، وَذَلِكَ يُؤْخَذُ مِنْ فَحْصِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ، وَعَدَمِ سُرْعَتِهِمْ لِذَبْحِ الْبَقَرَةِ.

الرَّابِعُ: عَلِمْنَا بِوُجُوبِ صَبْرِ الْمَذْكُورِ لِأَسْئَلَةِ السَّائِلِينَ، يُؤْخَذُ مِنْ صَبْرِ مُوسَى عَلَى أَسْئَلَةِ قَوْمِهِ.

الخَامِسُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْمُعَلِّمَ يَحْسُنُ مِنْهُ أَنْ يَبَالِغَ فِي تَصْوِيرِ الْمَسْأَلَةِ إِنْ لَمْ تَقْهَمُ إِلَى ثَلَاثَةِ تَصْوِيرَاتٍ، ثُمَّ يَعْرِضُ عَنِ السَّائِلِ إِنْ سَاءَ، وَذَلِكَ يُؤْخَذُ مِنْ اقْتِصَارِ قَوْمِ مُوسَى عَنِ السُّؤَالِ الثَّلَاثِ وَمَا ذَكَرَ إِلَّا لِعِلْمِهِمْ بِمُجَاوِزَةِ حَدِّ الْوَطْنَانِ، وَكَانُوا يَتَوَقَّعُونَ إِعْرَاضَ مُوسَى عَنْهُمْ لَوْ زَادُوا.

السَّادِسُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ اسْتِرْجَاعَ الرُّوحِ لِلْبَدَنِ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ،

وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَلَى بَعْضِ خَوَاصِّ، قَدْ يُطْبَعُ اللَّهُ عَلَيْهَا  
 مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ، يُؤْخَذُ مِنْ أَحْيَاءِ قَبِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَتَوَقَّفَ  
 ذَلِكَ عَلَى ذَبْحِ الْبَقْرَةِ وَالضَّرْبِ بِبَعْضِهَا.

السَّابِعُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ بَعْضَ الْقُلُوبِ قَدْ تَمَاتِلُ الْحِجَارَةَ فِي الْقِسَاوَةِ  
 وَتَزِيدُ، مِنْ قَوْلِهِ : ( ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ) .  
 الثَّامِنُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ لَيْسَتْ مَقْصُورَةً عَلَى الْعُقَلَاءِ  
 مِنْ خَلْقِهِ، بَلْ كُلُّ لَهُ لَضَيْبٍ بِقَدْرِ وَسِعَةٍ، كَالْحَجَرِ وَخَوْهٍ لَا يَعْدَمُ  
 حَظَّهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَذَلِكَ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ : ( وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا  
 يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ) .

## الإشارة

فِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى الْإِسْرَائِيلِيِّينَ بِذَبْحِ الْبَقْرَةِ تَوْحِيًّا إِلَى الْأَمْرِ  
 بِذَبْحِ النَّفْسِ، وَرِشْفَاقِ أَهْلِهَا وَتَعَسُّفِهِمْ وَامْتِنَاعِهِمْ عَنْ ذَبْحِهَا أَشَدَّ  
 مِنْ امْتِنَاعِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ لِغَدْوِ تَمَنُّهَا، فَهِيَ عِنْدَهُمْ أَرْفَعُ قِيَمَةً مِنْ  
 الْبَقْرَةِ عِنْدَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ، وَإِنْ مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِذَلِكَ،

قَالَ تَعَالَى: (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا). لِوَنِّ فِي ذَمِّهَا إِحْيَاءُ الْقُلُوبِ، وَفِي حَيَاتِهِمَا مَوْتُهُمْ وَلِهَذَا لَمَّا ذُجِّتِ الْبَقْرَةُ قَالَ تَعَالَى: (فَقَلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا) إِشَارَةً لِلْقَلْبِ، كَذَلِكَ يَحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى، وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ الَّتِي مِنْ أَعْظَمِهَا كُمُونُ الْأَشْيَاءِ فِي أَضْدَادِهَا، فَكَانَتْ حَيَاةُ الْقَلْبِ كَامِنَةً فِي مَوْتِ النَّفْسِ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

فَاقْتُلُونِي يَا تَقَاتِي      إِنَّ فِي قَتْلِي حَيَاتِي

وَقَالَ غَيْرُهُ: فَالْمَوْتُ فِيهِ حَيَاتِي      وَفِي حَيَاتِي قَتَابِي

وَلَمَّا كَانَ الْقَتْلُ الْمَعْبُورَةَ بِالْفَنَاءِ عِنْدَ الْقَوْمِ أَبْعَدَ مِنْ أَنْ يَتَحَقَّقَ لِكُلِّ مَنْ يَدَّعِيهِ فَقَدْ يَفْنَى الْإِنْسَانَ عَنْ شَيْءٍ، وَتَبَقِيَ لَهُ أَشْيَاءٌ، فَيَحْيِي قَلْبَهُ نَوْعَ حَيَاةٍ وَإِنْ لَمْ يَتَذَكَّرْهُ اللَّهُ بِلُطْفِهِ بِأَنْ يَفْنِيَهُ عَنِ الْكُلِّ فِي الْجُمْلَةِ، قَرَّبَ تَأْخُذَهُ تِلْكَ الْبَقِيَّةُ مِنْ نَفْسِهِ أَخْذًا وَبَيْدًا، وَيَكُونُ الظُّفْرُ بِهَا تَابِيًا عَزِيزِ الْمَنَالِ، وَإِلَى هَؤُلَاءِ الْإِشَارَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أَيِّ مِنْ بَعْدِ الْحَيَاةِ، فَهِيَ

الآن، أي حال الخطاب، كالحجارة في الجمود والصلابة، أو أشد  
 قسوة من الحجارة، بدليل وأن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار  
 وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وأن منها لما يهبط من  
 خشية الله. وفي ذكره تعالى الحجارة على أصناف ثلاثة ما يشمل  
 المقامات الثلثة، فأهل مقام الإحسان تتفجر من قلوبهم الأنهار  
 وأهل مقام الإيمان تشقق قلوبهم أي تنفسح شيئاً، فيخرج منها  
 الماء دون التفجر، وأهل مقام الإسلام يهبط من قلوبهم الماء  
 بدون انشقاق ولا تفجير، والماء في هذا الباب عبارة عن التوحيد  
 الخالص لله عز وجل، فهو الماء الذي منه الحياة الأبدية، وجعلنا  
 من الماء كل شيء حي.

## لسان الروح

راجعته في قوله: (وإن منها لما يهبط من خشية الله) فقال  
 إن الخشية فرع العلم (إنما يخشى الله من عباده العلماء) قلت وكيف  
 ذلك، قال لا تستغرب، إن ما صدر عن العلم لا يعدم حظه منه.

## التَّسْوِيرُ

قَدْ تَقَدَّمَ فِي ذِكْرِ الْبَقْرَةِ وَبَيَانِ أَوْصَافِهَا مَا فِيهِ إِطْنَابٌ، وَحِكْمَةٌ  
 تَعَالَى لِيَتَّصِفَنَّ فَوَائِدُ مِنْهَا زِيَادَةَ الْإِيضَاحِ فِي صِدْقِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمُنَاسَبَةٍ مَا يَجْرِيهِمْ بِهِ عَالِي التَّفْصِيلِ، وَثَانِيًا فِيهَا تَأْسُّسٌ لَهُ  
 بِمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ جِهَةِ الصَّبْرِ عَلَى أَسْئَلَتِهِمْ لَهُ عَنْ أَوْصَافِ  
 الْبَقْرَةِ حَتَّى لَا يَسْأَمَ مِنْ شِدَّةِ بَحْثِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ، وَثَالِثًا فِيهَا تَسْلِيَةٌ  
 لَهُ عَنْ عَدَمِ انْقِيَادِهِمْ، فَكَانَهُ تَعَالَى يَقُولُ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ جِبَلِيَّتَهُمْ مِنْ  
 جِهَةِ عَدَمِ الْإِنْقِيَادِ، حَسْبَمَا الصَّحَّحَ فِي ذِمِّ الْبَقْرَةِ، فَلَا عَجَبَ حِينَئِذٍ  
 فِي عَدَمِ انْقِيَادِهِمْ لِمَا هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصِدُ الْأَهَمُّ مِنْ  
 اسْتِطْرَادِ هَذِهِ الْقِيَمَةِ حَسْبَمَا يَتَضَمَّنُهُ الْمَعْطُوفُ عَلَيْهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ  
 تَعَالَى خُطَابًا بِالْمُحَمَّدِ وَأَصْحَابِهِ: «أَقْتَصِمُوا» يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ  
 «أَنْ يَوْمِنُوا لَكُمْ» الْيَهُودُ «وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ» أَي طَائِفَةٌ  
 «مِنْهُمْ» أَي مِنْ أَحْبَابِهِمْ «لِيَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ» وَهُوَ  
 التَّوْرَةُ، وَيَعْرِفُونَ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ «تَمَّ يَحْرِفُونَهُ» أَي يَغَيِّرُونَهُ وَيَبْدِلُونَهُ

« مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ » إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْهُمْ إِلَّا حَسَدًا  
 أَنْ يَظْهَرَ مَا فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى صِفَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدْرًا  
 أَنْ يَنْتَشِرَ أَمْرُهُ ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ « وَهُمْ يَعْلَمُونَ »  
 أَنْ مَا فَعَلُوهُ جُرْأَةً عَلَى اللَّهِ ، بِدَلِيلِ اعْتِرَافِهِمْ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا « وَإِذَا  
 لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا » بِمُحَمَّدٍ الْوَيْمَانَ الْخَالِصِ « قَالُوا » لَهُمْ « آمَنَّا »  
 كَمَا آمَنْتُمْ ، وَإِنَّهُ النَّبِيُّ الْمُبَشِّرُ بِهِ فِي التَّوْرَةِ « وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ  
 إِلَى بَعْضٍ » فِي مَجْتَمَعِهِمْ الْخُصُوصِيِّ ، الَّذِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِيهِ  
 غَيْرُهُمْ « قَالُوا » لَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ أَهْلُ الْجُحُودِ الْمُحْضِ ، يَلُومُونَ نَهْمَ  
 عَلَى اعْتِرَافِهِمْ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالنَّبُوءَةِ ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ  
 « أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ » فِي التَّوْرَةِ ، وَمِمَّا عَرَفْتُمُوهُ مِنْ  
 أَوْصَافِ الْمُبْعُوثِ آخِرِ الزَّمَانِ « لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ » أَي لِيَحْتَجُّوا  
 عَلَيْكُمْ بِحَدِيثِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ « عِنْدَ رَبِّكُمْ » بِأَنَّكُمْ عَرَفْتُمْ مُحَمَّدًا  
 بِأَوْصَافِهِ ، وَجَدْتُمْ نَبُوءَتَهُ « أَفَلَا تَعْقِلُونَ » أَنْ مَا فَعَلْتُمُوهُ  
 هُوَ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ . وَلَمَّا أَتَبُّوا مِنَ الْعَقْلِ لِأَنفُسِهِمْ مَا نَفُوهُ عَمَّنْ

تَحَدَّثَ بِأَوْصَافِ النَّبِيِّ أَلَى تَعَالَى بِمَا فِيهِ تُوهِينُ لِمُعْتَقِدِهِمْ فَقَالَ: «أَوْلَا  
يَعْلَمُونَ» أَي أَوْلَيْسَ يَعْلَمُونَ «أَنَّ اللَّهَ» تَعَالَى «يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ»  
فِي أَنْفُسِهِمْ «وَمَا يَعْلِنُونَ» مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَلِكِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ  
ذَلِكَ، وَلَوْ كَانُوا أَعْلَى بَصِيرَةً مِنْ أَوْصَافِ رَبِّهِمْ لَمَا ظَنُّوا أَنَّ كِتْمَانَ  
مَا عَرَفُوهُ مِنْ الْحَقِّ مُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «وَمِنْهُمْ»  
أَي مِنَ الْيَهُودِ «أَمْيُونَ لَا يَعْلَمُونَ» أَي لَا يَعْرِفُونَ «الْكِتَابَ»  
وَهُوَ التَّوْرَةُ حَتَّى يَجَادِلُوا فِيهِ «إِلَّا مَا فِي» يَمْنُونَهُمْ بِهَا أَحْبَارُهُمْ  
فَأَخَذُوا مِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْلِيدِ، وَلَيْسُوا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِمْ،  
«وَعِنُّهُمْ لَا يَطْنُونَ» فِيمَا يَعَارِضُونَهُ مِنَ الْحَقِّ، وَبِمُنَاسَبَةِ مَا ذَكَرَهُ  
تَعَالَى مِنْ أَنَّ فِي الْيَهُودِ أَمْيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا مَا حَبِ  
يَتَلَقَّوْنَهَا مِنْ أَحْبَارِهِمْ. وَمِنْ جُمْلَةِ جُرْأَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ أَنْ كَانُوا  
يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ طَبَقَ أَغْرَاضِهِمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ لِلْعُمُومِ أَنْ مَا فِيهَا هُوَ  
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَقَالَ تَعَالَى: «قَوْلٌ» هِيَ كَلِمَةٌ وَعَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ «لِلَّذِينَ  
يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ» لِلذُّمِّيِّنَ الذِّبَابِ

لَا يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ « هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ » فَأَنْصَتُوا هَلْ فِيهِ مَا يَلِزِمُنَا  
 بِمُتَابَعَةِ هَذَا النَّبِيِّ، أَوْ فِيهِ مِمَّا يَطَائِقُ أَوْ صَافَهُ، أَوْ يَطَائِقُ مَا جَاءَ بِهِ  
 وَيَفْعَلُونَ ذَلِكَ « لِيَشْتَرُوا » أَيْ يَبَالُونَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ « بِهِ ثَمَنًا  
 قَلِيلًا » مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا وَالْكَلِّ فِي جَانِبِ اللَّهِ قَلِيلٌ « فَوَيْلٌ لَهُمْ  
 مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ » مِنْ إِفْتِرَاءِ عَالِي اللَّهِ « وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا  
 يَكْسِبُونَ » مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا فِي مُقَابَلَةِ مَا يَكْتَبُونَ.

### الإِسْتِنبَاطُ

يُسْتَخْرَجُ مِنْ قَوْلِهِ: (أَفْتَضَحُونَ) إِلَى قَوْلِهِ (يَكْسِبُونَ) سَبْعَةٌ

أَحْكَامٌ:

الْأَوَّلُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْيَهُودَ أَبْعَدَ الطَّوَائِفِ عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ

بِهِ الْإِسْلَامُ، مِنْ قَوْلِهِ: (أَفْتَضَحُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ) إِلَى آخِرِهِ.

الثَّانِي: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْمَتْلُوعَةَ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ فَهُوَ كَالسَّمْعِ لَهُ مِنَ اللَّهِ

مَهْمَا عَقَلَهُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ قَوْلِهِ: (يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَ

مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ).



الثَّالِثُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ كَانَ مُنَافِقًا مَعَ النَّبِيِّ، مِنْ قَوْلِهِ: (وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا) إِلَى آخِرِهِ.

الرَّابِعُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا الْوَيْرُونَ تَعَلَّقَ كَلِمَةَ تَعَالَى بِالْحَزَنِيَّاتِ، مِنْ قَوْلِهِ: (قَالُوا أَلَمْ نَحْدِثْ لَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ).

الخَامِسُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْكِتَابِيَّ لَا يَشْتَرُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ، مِنْ قَوْلِهِ: (وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ).

السَّادِسُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْأُمِّيِّينَ مِنْهُمْ لَيْسُوا عَلَى يَقِينٍ بِمَا يُخْبِرُهُمْ بِهِ أَحْبَارُهُمْ فِي شَأْنِ الْإِسْلَامِ، مِنْ قَوْلِهِ: (وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ).

السَّابِعُ: عَلِمْنَا بِتَشْدِيدِ الْوَعِيدِ عَلَى مَنْ يَتَنَاوَلُ كِتَابَ اللَّهِ طَبَقَ الْأَغْرَاضِ (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...) إِلَى آخِرِهِ.

## الإِشَارَةُ

تَتَسَّعُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ لِيَدْخُلَ كُلُّ مَنْ يَتَنَاوَلُ كِتَابَ اللَّهِ أَوْ سُنَّةَ رَسُولِهِ طَبَقَ الْأَغْرَاضِ حَسَدًا مِنْ عِنْدِهِ، أَوْ لِيَصِلَ بِذَلِكَ لِلْأَغْرَاضِ

وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ أَبْعَدُ مِنْ أَنْ تَقَادَ لِلْحَقِّ وَلَوْ عَائِنَتْهُ ، وَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ يَكُونُ  
 الْخِطَابُ رَاجِعًا لِأَهْلِ الْخُصُوصِيَّةِ ، وَعَلَيْهِ فَتَصِيرُ الْمَعْنَى أَتَّصِعُونَ  
 يَا مَعْاشِرَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ أَنْ يُؤْمِنَ لَكُمْ الْفَسَاقُ مِنْ بَعْضِ الْقَرَاءِ بِعُلُومِكُمْ  
 الْوَهْبِيَّةِ وَأَسْرَارِكُمْ الْغَيْبِيَّةِ ، الَّتِي جَلَّتْ أَنْ تَكُونَ مُبَاحَةً لِهَوْلَاءِ وَقَدْ  
 كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ، وَيَعْرِفُونَ سُنَّةَ رَسُولِهِ وَمَا  
 فِيهِمَا مِنَ الدَّلِيلِ ، عَلَى أَنَّ فِي الشَّرِيعَةِ عُلُومًا غَيْبِيَّةً ، وَعَلَى أَنَّ لَهَا  
 فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ حَمَلَةً ، ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ بِالتَّأْوِيلِ الْوَاهِبِيَّةِ ، وَيَصْرِفُونَهُ  
 بِالذُّقَاوِيلِ الْخَالِيَةِ حَسَبِ أَغْرَاضِهِمْ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُحْطَبُونَ  
 فِي مَا فَعَلُوهُ ، وَإِذَا الْقَوَالِدِينَ آمَنُوا بِسِرِّ الْخُصُوصِيَّةِ قَالُوا آمَنَّا  
 مِثْلَ إِيمَانِكُمْ ، فَتَحَنَّنْ لَا تُتَكْرَرْ وَجُودَ الْبَاقِيَاتِ ، وَإِذَا خَلَى بَعْضُهُمْ  
 إِلَى بَعْضٍ بِأَنْ انْفَرَدُوا مَعَ شَيَاطِينِهِمُ الْمُنْكَرِينَ مَا عَلَيْهِ الْقَوْمُ ،  
 كَأَفْرَادِ الْمُعْتَرِلَةِ ، وَمَنْ فِيهِ رَاحَةُ الْقَدْرِيَّةِ ، قَالُوا اللَّهُمَّ أَحَدِّثُونَهُمْ  
 بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَعَرَفْتُمُوهُ ، لِيَجَاجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ ، أَوْلَاكَ يَعْلَمُ هَوْلَاءِ السَّفَهَاءِ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَمَا قَالَ الْبَعْضُ مِنْهُمْ إِنَّ عِلْمَ اللَّهِ لَا يَتَّعَلَقُ بِالْجُرْيَاتِ  
 وَمِنْهُمْ أَيْ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ أَمْيُونٌ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًا،  
 تَلَقَّوْهَا مِنْ رُؤْسِهَا، فَتَلَقَّوْا بِهَا، فَجَدُّهُمْ يَجَادِلُونَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ،  
 وَيَسْتَدِلُّونَ بِمَنْ يَتَنَاوَلُ كِتَابَ اللَّهِ أَوْ سُنَّةَ رَسُولِهِ عَلَى نَفْيِ ذَلِكَ  
 وَأَكْثَرَهُمُ الْفَارِغُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّرْعِيَّةِ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ  
 الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا  
 قَلِيلًا، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ.

## لِسَانَ الرَّوْحِ

سَأَلْتُهُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: أَفْتَضَمُّونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ، وَقَدْ كَانَتْ  
 فُرَيْقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ، فَمَا هُوَ مُوجِبٌ اسْتِبْعَادِ إِيْمَانِهِمْ  
 مَعَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ اسْتِمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ، فَقَالَ مَنْ سَقَطَ مِنْ أَعْلَى  
 دَرَجَةِ الْمَكَالِمَةِ، فَلَوْ يَرْضَى بِحَصْنِ الْإِيْمَانِ، فَإِنَّهُ يَسْتَنْكِفُ أَنْ  
 يَكُونَ مُؤْمِنًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُحْسِنًا، فَيَفُوتُهُ خَيْرُ الْمَقَامَيْنِ، الْأَوَّلُ  
 بِاضْطِرَارٍ، وَالثَّانِي بِاخْتِيَارٍ.

## التفسير

« وَقَالُوا » أي اليهود ، أحبارهم بحملهم ، تشيئاً لهم لئلا يبلغهم من زواجر القرآن ووعيده ما أخرجهم « لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ » في الآخرة « إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ » أي لا يلحقنا عذابها إلا أياماً ما قلوبنا ، على زعمهم أربعين يوماً ، مدة عبادة آباؤهم العجل وبهذه المناسبة فلا تضرنا عدم متابعتنا لمحمد ، وإن كان حقيقاً ، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « قُلْ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الدِّسْتِفْهَامِ التَّوْبِيحِيُّ » ائْتِذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا « وَمِيثَاقًا عَهْدَ لَكُمْ بِهِ أَنَّ النَّارَ لَا تَمَسُّكُمْ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ » فلا يخلف الله عهده « فِي مَا أَوْجِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِمَقْتَضَى قَوْلِهِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيثَاقَ » أم تقولون على الله ما لا تعلمون « صِحَّةٌ إِلَى الظَّنِّ ، وَالظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » بلى « إِنْ مَقْتَضَى الْوَاقِعُ هُوَ » من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته « مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ ، كَمَا أَحَاطَتْ بِالْيَهُودِ ، إِلَى أَنْ حَرَّفُوا كَلِمَ اللَّهِ ، وَبَدَّلُوا

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَنَقَضُوا الْعَهْدَ، وَتَعَدَّوْا الْحُدُودَ «فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ  
النَّارِ» وَسُكَّانُهَا «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أَي مَا كُنْتُمْ، رَدًّا عَلَى  
قَوْلِهِمْ لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ. وَلَمَّا صَدَّتْ عَلَيْهِمْ  
الذُّبُوبُ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ اسْتَلْفَنَتْهُمْ تَعَالَى لِبَابِ التَّوْبَةِ، فَإِذَا هُوَ  
لَيْسَ بِمُسَدُّودٍ فَقَالَ: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» وَإِنْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ،  
وَأُخْرَى مِنْ قَبْلُ «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» فِيمَا يَسْتَقْبِلُهُمْ مِنْ  
بَقِيَّةِ الْعَمْرِ «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ» وَسُكَّانُهَا «هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ».

### الإِسْتِنبَاطُ

يُسْتَخْرَجُ مِنْ قَوْلِهِ: (وَقَالُوا) إِلَى قَوْلِهِ (خَالِدُونَ) خَمْسَةٌ

أَحْكَامٌ:

الْأَوَّلُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْأَوْلَى لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَتَّعَبَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِي مَا

يَفْعَلُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ قَوْلِهِ: (وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا

أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ).

**الثَّانِي :** عَلِمْنَا بِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى مَنْ لَمْ يُعَاهِدِ اللَّهَ لَهُ بِشَيْءٍ، يَأْمَنُ بِهِ خَوْفَهُ أَنْ يَكُونَ دَائِمًا عَلَى وَجَلٍ، بِحَيْثُ لَا يَقْطَعُ عَلَى نَفْسِهِ بِالنَّجَاةِ، مِنْ قَوْلِهِ : (قُلِ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَا تُخْلِفُ اللَّهُ عَهْدَهُ) **الثَّالِثُ :** عَلِمْنَا بِمَنْعِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، مِنْ قَوْلِهِ : (أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

**الرَّابِعُ :** عَلِمْنَا بِأَنَّ الْمَعَاصِيَ إِذَا تَرَاكَمَتْ قَدْ تَفْضِي بِصَاحِبِهَا إِلَى مَا يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ، مِنْ قَوْلِهِ بَلَى مِنْ كَسَبِ سَيِّئَةٍ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَاتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

**الخَامِسُ :** عَلِمْنَا بِأَنَّ الْإِيمَانَ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ مُوجِبَانِ لِلْخُلُودِ فِي دَارِ النِّعَمِ، إِنْ لَقِيَ الْعَبْدُ اللَّهَ بِهِمَا، مِنْ قَوْلِهِ (وَالَّذِينَ آمَنُوا) إِلَى آخِرِهِ.

### الإشارة

تَشْفِقُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ الْجَاهِلِيَّةَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي الضَّيْرِ مِنْ قَوْلِهِ : (وَقَالُوا لَنْ نَمْسَنَّا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ) حَسْبَمَا هُوَ الْجَارِي عَلَى ألسِنَةِ السُّفَهَاءِ، مِنْ جِهَةِ مَا بَلَغَهُمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَخْلُدُ

فِي النَّارِ، وَحَيْثُ كَانَ كَذَلِكَ فَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٍ، وَعَلَيْهِ فَلَا  
تَصِيرُ الْمَعْصِيَةُ مَعَ الْإِيمَانِ وَهُوَ كَذَلِكَ غَيْرَ أَنَّهُ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ  
يَسْأَلَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلِ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا) بِحَيْثُ عَهْدٌ  
لَكُمْ بِالْخُصُوصِ أَنْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، لَا تَدْخُلُونَ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ  
فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ، أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، بَلَى مَنْ  
كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَسْرَسَلَ فِيهَا، وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وَأَسْتَعْرَقَ  
فِيهَا، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. لِأَنَّهَا تَقْضِي بِهِمْ  
إِلَى الرَّدَى - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - لِأَنَّ الْأُضْلُ فِي الْكُفْرِ إِسْتِرْسَالٌ فِي  
الْمَعَاصِي. قَالَ تَعَالَى فِي قِتْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَنْبِيَاءَ (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا  
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) فَجَعَلَ الْمَعَاصِيَ سَبَبًا لِمَا وَصَلُوا إِلَيْهِ.

### لِسَانَ الرَّوْحِ

فِي قَوْلِهِ: (قُلِ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا) قَالَ لِوَيْعَاهِدُ اللَّهُ  
فِي الدُّنْيَا لِعَبْدِهِ بِالنَّجَاةِ، إِلَّا إِذْ أَلَمْ تَبْقَ لَهُ بَقِيَّةٌ فِي الْأَرْضَيْنِ وَلَا

## التَّسْوِيرُ

فِيمَا سَيَذْكُرُهُ تَعَالَى تَنْبِيهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَوْبِيحٌ  
 لِلْيَهُودِ بِفِعْلِ أَسْلَافِهِمْ. قَالَ تَعَالَى: «وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي  
 إِسْرَائِيلَ» أَي عَهْدَنَا لَهُمْ فِي التَّوْرَةِ، وَقُلْنَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ  
 «لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا «وَبِالْوَالِدَيْنِ» كُونُوا  
 مُحْسِنِينَ لَهُمْ «إِحْسَانًا» يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِكُلِّ الْبُرُورِ «وَذِي الْقُرْبَىٰ»  
 كَذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الْإِحْسَانِ، فُرُوعٌ وَأَصُولٌ «وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ»  
 وَهَكَذَا سَائِرُ الضُّعْفَاءِ، لَا تَعَامِلُوهُمْ إِلَّا بِاللِّينِ وَالرِّوَاضِعِ «وَقُولُوا  
 لِلنَّاسِ» عَامَّةً «حَسَنًا» وَبِالْأَخْصِصِ مَنْ أَرَدْتُمْ هِدَايَتَهُ، فَلَا  
 تَخَاطَبُونَهُ إِلَّا بِالْمُسَاعَفَةِ، وَلَا تَجَادِلُونَهُ إِلَّا بِالْمَلْطَفَةِ، وَقُلْنَا لَهُمْ  
 فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ أَيْضًا «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ  
 بِشُرُوطِهَا «وَأَتُوا الزَّكَاةَ» الَّتِي وَجِبَتْ عَلَيْكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ «ثُمَّ  
 تَوَلَّيْتُمْ» يَا مَعْاشِرَ الْيَهُودِ، أَنْتُمْ وَأَسْلَافُكُمْ، عَنْ جَمِيعِ الْعَهْدِ



وَنَقَضْتُمْ كُلَّ الْمَوَاقِيقِ «إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ» وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَسْلَمُوا  
 مَعَ مُحَمَّدٍ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ «وَأَنْتُمْ» خِطَابٌ لِمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ مِنْ  
 الْيَهُودِ «مُعْرِضُونَ» عَنْ جَمِيعِ الْعَهُودِ وَالْمَوَاقِيقِ الَّتِي عَرَفْتُمْ  
 بِأَنَّهَا أُخِذَتْ عَنْكُمْ فِي التَّوْرَةِ، فَمَا لَكُمْ لَا تَتَّقُونَ.

### الِاسْتِثْنَاءُ

يُسْتَخْرَجُ مِنْ قَوْلِهِ: (وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ) إِلَى قَوْلِهِ: (مُعْرِضُونَ)  
 أَرْبَعَةٌ أَحْكَامٌ:

الْأَوَّلُ: عَلِمْنَا أَنَّ مَنْ دَخَلَ فِي شَرْعٍ فَقَدْ أَوْثَقَ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ بِهِ،  
 فَذَلِكَ مِيثَاقُهُ مَعَ اللَّهِ، فَلْيَحْذَرِ مَنْ نَقَضَهُ. مِنْ قَوْلِهِ: (وَإِذَا أَخَذْنَا  
 مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) إِلَى آخِرِهِ.

الثَّانِي: عَلِمْنَا بِأَنَّ بُرُورَ الْوَالِدَيْنِ هُوَ أَحَمُّ شَيْءٍ فِي الدِّينِ، وَذَلِكَ  
 يُؤَخِّدُ مِنْ عَطْفِهِ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ. مِنْ قَوْلِهِ: (أَلَا تَتَعَبُدُونَ إِلَّا  
 اللَّهَ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا).

الثَّلَاثُ: عَلِمْنَا بِأَنَّهُ يُجِبُّ عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ حَظٌّ فِي

الإحسان أن يصرفه للوالدين، ثم لقربائه المتحدين معه في الدين،  
ثم إلى أيتام المؤمنين، ثم إلى ضعفايهم، ثم للناس عموماً، يقطع  
التطر عن جنسيتهم، وإذ لم يتعد إحسانه إلى مثل ذلك بالفعل، فقد  
يتعين بالقول، وكل ذلك يستفاد من ترتيب الميثاق المأخوذ عن بني  
إسرائيل، واختتامه بحسن القول لعموم الناس.

الرابع: علمنا بتعدّد الوفاء بهذا العهد على عامة المسلمين من  
جهة المواساة للقرباء واليتامى والمساكين، والإحسان بالقول لعموم  
الناس، فلهذا لم يؤخذ منهم في صريح القرآن، وإنما طرقتهم على  
سبيل الحكاية، رخصة منه تعالى بهم، فمن تأسّى به فهو المحسن، ومن  
لا فهو مؤمن على كل حال.

### الإشارة

لدسرى الميثاق المأخوذ من بني إسرائيل في التوراة بأعظم من  
الميثاق المأخوذ من أمة محمد في القرآن، فهو يتضمن الأمر لكم  
معاشر المؤمنين أن لا تعبدوا إلا الله، وبالوالدين إحساناً، وذي

الْمَرْبِي وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ،  
وَاتُوا الزَّكَاةَ. فَهَذِهِ شَرِيعَتُنَا الْمَحْمَدِيَّةُ، فَمَنْ سَارَ عَلَيْهَا فَهُوَ مُحَمَّدِيٌّ  
النِّسْبَةَ، وَمَنْ تَوَلَّى عَنْ نَتْنِيٍّ مِمَّا تَضَمَّنَهُ، يَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَشْمَلَهُ  
الضَّمِيرُ. مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ)  
عَصَمْنَا اللَّهَ وَالْمُسْلِمِينَ.

## لِسَانُ الرَّوْحِ

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) يَقُولُ الْمُقُولُ الْحَسَنُ  
مَا كَانَ حُسْنُ الْمَالِ، لِذِكْوَنِهِ حُسْنًا فِي الْحَالِ، وَإِلَّا لَو تَسَعَّتِ الْمَدَاهِنُ  
وَتَعَطَّتِ الشَّرِيعَةُ.

## التَّفْسِيرُ

وَبَعْدَ مَا قَدَّمَ تَعَالَى مِنْ صِفَةِ الْيَهُودِ مَا أَغْلَبَهُ مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلِ  
أَسَدُ فِهِمْ، مِنْ نَقْضِ الْعُهُودِ وَالْمَوَاطِنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، بِأَشْرَ الْأَنْ  
الْمُعَاصِرِينَ لِنَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَا هُوَ فَعَلَهُمْ، حَتَّى لَا تَكُونَ  
لَهُمْ مَسَدٌ وَحَةً فِي نَفْسِهِ عَنْهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى تَذَكِيرًا لِلنَّبِيِّ وَتَوْبِيخًا لَهُمْ:

«وَإِذْ أَخَذْنَا» أَي أذَكُرُوا أَخَذْنَا عَنْكُمْ «مِيثَاقَكُمْ» فِي التَّوْرَةِ،  
حَيْثُ قُلْنَا لَكُمْ فِيهِ «لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ» بِقَتْلِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا،  
ظُلْمًا وَعُدْوَانًا «وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ»، أَيْ  
لَا تَلْتَسِبُونَ فِي إِخْرَاجِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا مِنْ مَسَاكِينِكُمْ «لَمْ أَفْرَمُوا»  
بِهَذَا الْمِيثَاقِ بِأَنَّهُ أَخَذَ عَنْكُمْ، وَاعْتَرَفْتُمْ بِهِ «وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ»  
الآنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِذَلِكَ «ثُمَّ أَنْتُمْ» مَعَ ذَلِكَ الْإِعْتِرَافِ «هُوَ لَعْنَةُ»  
نِدَاءٌ بِإِسْقَاطِ الْبَيَاءِ يَتَّوَلُّ الْمَشَارِءَ إِلَيْهِمْ «تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ» أَيِ  
سَارِعِينَ فِي قِتَالِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا «وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ  
دِيَارِهِمْ» وَتَخْرِبُونَهَا، وَتَفْعَلُونَ بِهِمْ أَشَدَّ مَا يَفْعَلُ الْعَدُوُّ بَعْدَ وَدِّهِ،  
أَوْ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ «تَظْهَرُونَ» أَيِ تَتَعَاوَنُونَ عَلَى قَتْلِهِمْ وَخَرْبِهِمْ  
وَتَسْتَعِينُونَ بِالْغَيْرِ «عَلَيْهِمْ» حَالَةَ كَوْنِهِمْ مُلْتَبِسِينَ «بِالْإِثْمِ» فِي  
ذَلِكَ الْفِعْلِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ كُلِّ فِعْلٍ تَشْمُرُ مِنْهُ النُّفُوسُ، وَلا تَنْظُمُ  
إِلَيْهِ الْقُلُوبُ «وَالْعُدْوَانِ» وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْجَاوِزِ فِي الظُّلْمِ، أَوَّلَيْسَ  
هَذَا مِنْ نَقَضِهِمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَ عَنْهُمْ، ثُمَّ إِنَّ الْقِصَّةَ تَصِيحُ بِإِيرَاقِهَا

وَيَا نَهَا أَنْ بَنِي قُرَيْضَةَ وَبَنِي النَّضِيرِ فِرْقَتَانِ مِنَ الْيَهُودِ قُرْبَ الْمَدِينَةِ،  
 كَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا سِجَالًا، فَأَنْتَصَرَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ عَلَى أُخْتِهَا بِطَائِفَةٍ  
 مِنَ الْعَرَبِ، فَقُرَيْضَةُ حَالَفُوا الْأَوْسَ، وَالنَّضِيرُ حَالَفُوا الْخَزْرَجَ وَعَادَتْ  
 كُلُّ فِرْقَةٍ تَنْظَاهِرُ عَلَى أُخْتِهَا مَخْلِفَاتِهَا، وَتَفْعَلُ بِهَا مَا هُوَ الْمَذْكُورُ فِي  
 الدِّيَةِ، وَكَانَتْ التَّوْرَةُ مُحْرَمٌ عَلَيْهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ  
 (أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةَ عَهُودٍ: تَرْكُ الْقَتْلِ، وَتَرْكُ الْإِخْرَاجِ، وَتَرْكُ  
 الْمَظَاهِرَةِ وَفِدَاءُ أَسْرَائِهِمْ، فَأَعْرَضُوا عَنْ كُلِّ مَا أُمِرُوا إِلَّا الْفِدَاءَ،  
 وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارِي» فِي أَيْدِي عَدُوِّهِمْ  
 «تَفَادَوْهُمْ» أَي تَقْدَوْهُمْ بِالْمَالِ، قَائِلِينَ أَنَّ الْفِدَاءَ أَوْجِبَهُ اللَّهُ  
 عَلَيْنَا، أَوْلَيْسَ هَذَا مِنَ التَّسَاقُضِ فِي مَكَانٍ، فَمَا بِالْكُمْ تَفْعَلُونَ مَعَ  
 بَعْضِكُمْ مَا تَقْدَمُ، وَهُوَ أَي السَّانِ إِنَّهُ «مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ»  
 مِنْ دِيَارِهِمْ، وَقَتْلِهِمْ، وَالْمَظَاهِرَةَ عَلَيْهِمْ، فَتَرَكْتُمُ الْعَهُودَ الثَّلَاثَةَ  
 وَعَمَلْتُمُ بِالْفِدَاءِ «أَفْتَوْعَمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ» أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ،  
 وَهُوَ الْفِدَاءُ «وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ» وَهُوَ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ مِنْ

الْقَتْلِ وَالْإِخْرَاجِ وَالنَّظَاهِرِ، فَكَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ «فَمَا جَزَاءُ  
 مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ» يَا مَعْاشِرَ الْيَهُودِ «الْأَخْزِي» وَهِيَ  
 عِبَارَةٌ جَامِعَةٌ لِلذُّلِّ وَالْهَوَانِ وَالْفَضِيحَةِ، يُلْحَقُ مَنْ يُؤْمِنُ  
 بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَيُكْفِرُ بِبَعْضٍ «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» وَقَدْ حَصَلَ  
 لَهُمْ مِنْهُ أَوْ فَرَضِيْبٍ «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرُدُّونَ» أَيْ يَصِيرُونَ  
 «إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ» الَّذِي يَعْلَمُهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى بِمَا فِيهِ مَبَالِغَةٌ  
 فِي التَّهْوِيلِ فَقَالَ: «وَمَا لِلَّهِ بِعَاقِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ» مِنْ أَعْمَالِهِمْ  
 الَّتِي مِنْ جُمَلَتِهَا أَنْ يُؤْمِنُوا بِبَعْضِ الْكِتَابِ، وَيُكْفِرُوا بِبَعْضٍ  
 «أَوْلَئِكَ» الْمَوْضُوفُونَ بِنَقْضِ الْعَهْدِ هُمْ «الَّذِينَ اشْتَرَوْا»  
 أَيْ آتَرُوا وَاسْتَبَدَّلُوا «الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» الْفَانِيَةَ «بِالْآخِرَةِ» الْبَاقِيَةَ  
 فَبَدَّسَ مَا فَعَلُوهُ «فَلَا يَخْفَى» اللَّهُ «عَنَّهُمْ» فِي الْآخِرَةِ «الْعَذَابِ  
 وَلَهُمْ يُنْصَرُونَ» فِي الدُّنْيَا، أَيْ يُسْعَوْنَ بِمَا لَزِمَهُمْ مِنَ الْخِزْيِ  
 صِبْغَةَ اللَّهِ، إِذْ إِذَا انْتَقَلُوا مِنَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْإِسْلَامِ  
 الْإِسْتِبَاطُ: يُسْتَخْرَجُ مِنْ قَوْلِهِ: «وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ» إِلَى

قَوْلِهِ: وَيَنْهَى وَيُحَذِّرُ تِلْكَ أَلْحَامٌ:

الْأَوَّلُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْعَمَلَ بِهَذَا الْمِيثَاقِ  
الْمَوْخُودِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنَّ لَا يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ، وَلَا يُخْرِجُوا أَنْفُسَهُمْ  
مِنْ دِيَارِهِمْ، وَلَا يَطْهَرُوا لِحَايَ بَعْضِهِمْ بِأَعْدَائِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَأْخُذْ هَذَا  
الْمِيثَاقُ عَلَانًا فِي صَرِيحِ الْأَمْرِ بِهِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنْهُ تَعَالَى، حَيْثُ  
أَدْرَجَهُ فِي قَالِبِ الْحِكَايَةِ، إِذْ لَوْ أَخَذَ عَلَانًا لِنَقْضِنَاهُ حَسَبَ الْوَاقِعِ فِي  
صَدْرِ الْوَسْلَامِ وَالْآنَ.

الثَّانِي: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْعَمَلَ بِبَعْضِ الْأُمُورَاتِ مَعَ عَدَمِ اجْتِنَابِ الْمَنْهَاتِ  
قَدْ لَا يَعُدُّ إِيمَانًا. مِنْ قَوْلِهِ: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ  
بِبَعْضٍ) وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُمْ فَعَلُوا بَعْضَ الْأُمُورَاتِ مَعَ عَدَمِ اجْتِنَابِ  
الْمَنْهَاتِ.

الثَّلَاثُ: عَلِمْنَا بِشِدِيدِ الْوَعِيدِ عَلَى مِثْلِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ. مِنْ قَوْلِهِ:  
(فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ) إِلَى آخِرِهِ.

الإِشَارَةُ: يَتَحَقَّقُ مِنَ الْآيَةِ تَهْوِيلُ تَعَدُّى أَمْرِهِ إِلَى غَيْرِهِ.

الإسرائيليين، على ما يتضمنه معنى الموصول، من قوله تعالى: (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِلَّا أَنْتَ إِذَا تَحَقَّقْنَا الْمَشَارَإِلَيْهِ نَجْدُهُ لَيْسَ هُوَ إِلَّا فِعْلٌ بَعْضُ الْوَاجِبَاتِ، وَهُوَ الْفِدَاءُ مَعَ عَدَمِ اجْتِنَابِ الْمَنْهَيَّاتِ، وَهِيَ: الْقَتْلُ وَالْإِخْرَاجُ وَالنِّطَاقُ وَهَذِهِ الصِّفَةُ قَدْ تَحَقَّقَ فِي غَيْرِ الْيَهُودِ مِنْ فِعْلِ بَعْضِ الْمَأْمُورِيَّةِ مَعَ عَدَمِ اجْتِنَابِ الْمَنْهَيَّاتِ عَنْهُ. وَعَلَيْهِ فَإِنَّهُ كَانَ جَزَاءً مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَسْفَدِ الْعَذَابِ، وَالْمَلْتَجَاءُ إِلَى اللَّهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ. وَالَّذِي أَدَّاهُ مِنْ هَذَا تَعْيِيرُهُ تَعَالَى عَمَّنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَيَكْفُرُ بِبَعْضٍ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ شَاهِدٌ عَلَىَّ أَنْتَ يَا أَوْمِنُ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَمَا أَبْرَيْتُ نَفْسِي مِنَ التَّقْصِيرِ، مِنْ جِهَةِ الْأَخْذِ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ، فَلَوْ تَجَلَّ مَا هُوَ مِنْ عَمَلِ أَيْدَانِنَا مُخْلِئًا بِإِيمَانِنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ



## لِسَانُ الرَّوْحِ

فِي قَوْلِهِ: «فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ» يَقُولُ إِنَّ الْإِسْمَ الْمَوْصُولَ  
جَاءَ بِشُمُولِ الْعَذَابِ لَوْلَا أَنْ قِيدَهُ كَافُ الْحِطَابِ.

## التَّفْسِيرُ

ثُمَّ أَخَذَ تَعَالَى فِي ذِكْرِ جِنَايَةٍ يَتَعَلَّقُ مَعْظَمُهَا بِفِعْلِ أَسْلَافِ  
الْيَهُودِ، مَعَ بَقَاءِ الْحُطِّ الْوَافِرِ مِنْهَا لِمَنْ عَاصَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَهُودِ، وَالتَّصْدِيرِ بِجُمْلَةِ الْقَسَمِ يُشْعِرُنَا بِأَهْمِيَّةِ  
الْمَذْكُورِ، بَعْدَهَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى» بِنُ عِمْرَانَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ «الْكِتَابَ» وَهُوَ التَّوْرَةُ، نَزَلَ عَلَيْهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً  
«وَقَفَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ» أَيِ مَنْ بَعْدِ مُوسَى «بِالرُّسُلِ» أَيِ بَعَثْنَا  
رُسُلًا عَلَى آثَارِهِ، كَثِيرَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كِيُوشَعَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَشَمْعُونَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَشُعَيْبَ وَعَزِيرَ وَحَرْقِيلَ  
وَإِلْيَاسَ وَلَيْسَ وَيُونِسَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى «وَآتَيْنَا عِيسَى بِنُ  
مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ» جَمَعَ بَيِّنَةٌ، وَهِيَ الْحُجَّةُ الْوَاصِحَةُ، الدَّالَّةُ عَلَى